حفل افتتاح اسبوع العلم السادس عشر(*)

خطاب الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

سيادة ممثل رئيس الجمهورية وزير التعليم العالي ، الزملاء الأماثل ، سيداتي سادتي

يحتم عليّ الواجب قبل كل شيء أن أتقدم بوافر الشكر لرئاسة مجلس الوزراء ووزارة التعليم العالي باسم مجمع اللغة العربية لما كان من جميل استجابتها لرغبة المجمع في إحياء هذه الذكرى وإقامة هذا الاحتفال . ومثل هـــذا الشكر لمختلف الهيئات الرسمية وغير الرسمية التي أعانتنا على إنجاحه .

والشكر كذلك للزملاء والاخوة الذين لبّوا دعوة المجمع ، وأخصّ أولئك الذين تجشموا عناء السفر من أطراف الوطن العربي ، فأهلاً وسهلاً بهم وبكم جميعاً مع أطيب التمنيات في الحلّ والترحال .

وبعد فإنّ افتراصَ الفرص لإحياء ذكرى مولد رجل عظيم أو وفاته لسنة حسنة درجت عليها كلّ أمة لها من تاريخها ما تعتز به ، ولها من سيرة عظمائها ما ترتبط به . وفي ذلك كله معنى الوفاء ومعنى التقدير وفيه معنى الموعظة والحافز لشحذ الهمم واقتفاء الأثر .

والمجلس الأعلى للعلوم الذي تعوّد أن يقيم سوق العلم هذه في كل

(*) أقيم في القاعة الشامية بمبنى المتحف الوطني يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عام ويجمع العلماء والباحثين من عرب وأصدقاء ليبسطوا ما توصلوا إليه من بحث ودراسة في شتى آفاق العلم والمعرفة – يضيف إلى عمله مأثرة جديدة لا تقل عن مآثره الأخرى هي احتفاؤه بإحياء ذكرى أحد علماء الأمة على مثل ما فعل قبلُ في إحياء ذكرى ابن الهيثم وابن النفيس وابن زهر وغيرهم ممن كان لهم أكبر الفضل في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية .

ومجمع اللغة العربية بدمشق وقد حتّم عليه الواجب أن لا يغفل عن إحياء ذكرى مرور مئة عام على مولد مؤسسه المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنانه ، قد التقى والمجلس الأعلى للعلوم في هذه المرة على الاحتفال بأحد الخالدين هو الأستاذ محمد كردعلي من الذين أبلوا بلاءً حسناً بل وتفانوا في خدمة الأمة في مختلف آفاق العمل المجدي والنافع ، فكان من بناة النهضة القومية التي ننعم بها .

لقد كتب كثيرون من الكتاب والمفكرين مقالات وبحوثاً كثيرة في سيرة هذا الرجل العظيم ونشروا عديداً من الكتب وهم متفقون جميعاً على أنه :

هو الكاتب المبدع الذي يكاد ينفرد بأسلوبه الخاص .

وهو المؤرخ البارع مؤلف خطط الشام الموسوعة التاريخية الغنية عن التعريف.

وهو الصحفي القدير والعفيف اليد الذي أسس أول صحيفة يومية معروفة هي المقتبس ونشر المئات من المقالات في صحف القاهرة عندما التجأ إليها .

وهو المؤلف الفذّ الذي نشر كثيراً من الكتب

وهو مؤسس مجلة المقتبس التي أصدرها في القاهرة ثم انتقل بها إلى دمشق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو الذي أنشأ وغذّى مجلة المجمع ، فلا يكاد جزء من أجزائها يخلو من مقال له أو نقد أو تعريف .

وهو من أبرز دعاة الإصلاح ، لاقى في سبيله ما لاقاه من هجرة وتشريد واضطهاد وتقديم للمحاكمة في العهد العثماني .

وهو المحقق الثبت — إذ حقق الكثير من كتب السلف ورسائل التراث .

هذا إلى فضائل أخرى يندر أن تجتمع في شخص واحد .

إن هذه السجايا التي كانت للأستاذ الرئيس ليست كل ما صنعه في حياته من صنيع سيبقى أبد الدهر ، إن له مزايا أخرى أستميح لنفسي أن أدعوها بالمزايا غير المدونة إذ قلّ من ذكرها له ، مع ما لها من الشأن الكبير .

لقد شب المرحوم كرد علي في الربع الأخير من القرن السابق وهو القرن الذي عرف بالانحطاط والظلم والاستبداد ، وقيض الله لهذا الشاب الموهوب من يهديه سواء السبيل في جميع نواحي الحياة ، ذلكم هو الشيخ طاهر الجزائري الذي قال عنه الأستاذ الرئيس إنه صدر الحكماء ، وإنه من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم . فسار كرد علي على هدي أستاذه واقتفى أثره فأكثر من المطالعة في كتب السلف وقرنها بمطالعته بعض المجلات التركية والفرنسية التي كانت تصل إلى يده فدب الوعي فيه وأخذ على نفسه إنقاذ وطنه مما آل إليه من فساد . وتربى على يدي ذاك الأستاذ الجليل حفنة من المستنيرين والمثقفين الذين كانوا يتحلقون حوله ويغترفون من معين علمه ، وانتهى الأمر بتلك الفتية اليقظة إلى تشكيل جمعية النهضة العربية — وكانت سرية في عهد السلطان عبد الحميد —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم أشهروها علنية بعد إعلان الدستور العثماني — وكان من أبرز أعضائها الشاب محمد كرد علي وكان لها أنشطة مختلفة ترمي إلى رفع مستوى الشعب وبث الروح القومية فيه بعد أن قضى عليها الحكم التركي بقسوته وجوره .

وكان من أعمالها تأسيس مدارس ليلية لتعليم الأميين وفتح دور للقراءة والتزود بالعلوم العصرية التي كانت بحكم العدم .

ولقد أغنى الشاب كرد علي الذي كان في عداد هذه الفئة النابهة عمل هذه الجمعية بعد أن زار بلاد الغرب ولاحظ أن مافيها من تقدم وازدهار هو نقيض ما هي عليه الحالة في الوطن .

وتجسّد عمله بإيفاد أول بعثة علمية إلى خارج القطر ، وأعانه على ذلك صلته ببعض أثرياء هذا البلد الطيب الذين كانوا أصدقاءه وكانوا يثقون به بحكم ما ناله من شعبية منقطعة النظير فيما يكتبه في المقتبس ، الصحيفة اليومية المحببة إلى الجميع ، إلا الفئات التي تخاصمه لأنها كانت تشايع الحكم الفاسد القائم .

لقد توفق الشاب كرد علي بإرسال أول بعثة شعبية إلى بلاد الغرب كان من بينها الأمير مصطفى الشهابي والسيد الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي اللّذين أصبحا بعدُ من رواد نهضة هـــذا القطر فضلاً عن عملها المجمعي المعروف .

ولا شك أيها السادة بأن هذه البعثة العلمية التي كان للأستاذ كرد علي اليد الطولى في فكرتها واختيارها وتنفيذها وتأمين أموالها وتوجيه أفرادها هي الأولى من نوعها في تاريخ هذا القطر .

وأعاد الأستاذ الرئيس الكرّة بعيد تسنّمه منصب وزارة المعارف في مطلع عهد الانتداب الفرنسي إذ قاد بعثة علمية حكومية في هذه المرة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قادها وصاحبها إلى فرنسا وهي تضم نخبة ممتازة من الشبان منهم الأستاذان المرحومان جميل صليبا الذي درّس الفلسفة فكان من أعلامها والأستاذ الأمير جعفر الحسني الذي درّس الآثار واهتم بصيانتها والتنقيب عنها .

ولا غرو فقد أسس المرحوم كرد علي في المجمع داراً للآثار كانت نواة دار الآثار العامرة الحالية . وإن من أتيح له زيارة المجمع في ذاك الحين كان يرى في باحة المجمع عشرات التماثيل الحجرية كما كان يرى في غرفه الخزائن المغلقة التي تحوي الكثير من الآثار الصغيرة مما عني الأستاذ الرئيس بجمعه بشتى الوسائل . وظل هذا المتحف جزءاً من المجمع العلمي العربي عدة سنين وأشرف عليه الأمير جعفر الحسني بعد عودته من الدراسة وبعد انفصاله عن المجمع ، ولم يكن هدف الأستاذ الرئيس إلا صون هذه الآثار وحفظها من الضياع والسرقة لكي لا تتسرب إلى خارج البلاد شأن ما كانت عليه الحال فيما مضى .

وعني الأستاذ الرئيس أشد العناية في اقتناء الكتب النفيسة من مطبوعة ومخطوطة ، منها ما خص بها المكتبة الظاهرية ومنها ما جعله خاصاً بمكتبة المجمع ، منها ما كان شراء ومنها ما كان استهداء من كبار أصدقائه الأعلام من القطر المصري خاصة .

ولم يفت الأستاذ الرئيس تشجيع من يتوسم فيه الخير والجدّ والعمل وما مطبوعات التراث في المجمع إلا بتشويقه وتشجيعه ، كما حفل في شأن الشعراء النابهين فأقام لهم في المجمع حفلًا تكريمياً كان من أثر ذلك أن أضحوا في عداد الأدباء والشعراء المرموقين في هذا البلد ، من أمثال المرحومين أنور العطار وزكي المحاسني وعبد الكريم كرمي والدكتور جميل سلطان أمدّ الله في حياته وقد رأى من الوفاء إعداد قصيدة بمناسبة هذا الاحتفال وقد تضمنها البرنامج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـذا ولن ينسى للأستاذ الرئيس أبداً ما بذله من جهد عندما تسنم رئاسة مجلس المعارف غداة انتهاء الحرب العالمية الأولى قبل تأسيس مجمع اللغة العربية وبعده حين عمل مع من اختارهم فأحسن الاختيار من علماء أعلام أسهموا في إيجاد مسميات عربية حضارية للاستعاضة بها عما شاع وذاع على الألسن من ألفاظ أعجمية تركية في كثرتها أو عربية مشوهة ، وإن هـــذه الألفاظ المستحدثة سرعان ما تسربت إلى الأقطار الأخرى وهي تعد بالمئات .

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأحسن اليه بقدر ما أحسن إلى لغة القرآن وما ذاد بقلمه عن حوض الإسلام ورد تخرص المتخرصين عليه وافتراءات المفترين .

وإنه ليحزن النفس حقاً ألاّ يكافأ هذا العبقري في حياته لأن المعاصرة أبت إلا أن تكون حرماناً وأن لا يفتأ جهال الناس يحسدون علماءهم وشرارهم يحسدون خيارهم .

بيد أن المجمع العربي بالأمس ، مجمع اللغة العربية اليوم ، عمل ما استطاع على الوفاء لمؤسسه ورئيسه ما يقرب من ربع قرن فسعى واستجيب لمسعاه من قبل أولي الأمر في تسمية أحد الشوارع باسمه وإطلاق اسمه على مدرسة ثانوية واعتبار هذا الأديب الكبير في عداد الأعلام الذين يدرسون لطلاب الشهادة الثانوية وإصدار طابع باسمه ثم إقامة هـذا الحفل الذي أجدد الشكر في الختام لكل من أسهم في إنجاحه وتلبيتكم هذه الدعوة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net